البيـان في فواصـل آي القرآن

إعداد الدكتور:

محمد عبد الكريم محمد مراد كاسب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

بكلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: mohamadkaseb72@yahoo. com

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخـــــص

الفواصـل القرآنيـة مـن الموضـوعات المهمـة التـي شـغلت حيـزًا مـن كتابـات العلمـاء في علـوم القـرآن الكـريم قـديمًا وحـديثًا إذ الفواصـل القرآنيـة ليسـت مجـرد نهايـة الآيـة فحسـب، ولكـن لهـا وثيـق التعلـق بمبتـدأ الآيـة وموضـوعها ومختتمهـا، وهـي فـوق ذلـك لهـا مـن الجـرس الصـوتي والإيقـاع النغمـي مـا يعاضـد معناهـا. لقـد اختصـت الفواصـل القرآنيـة بسـمات اجتمعـت فيهـا كـل وجـوه الحسـن وخصـائص الجمـال في التعبيـر، فانتظمـت مـع آياتهـا في تناسـق عجيـب وتـآلف معجـز حتـى التقـت الألفـاظ مـع المعـاني في أوج البلاغـة وذروة الإعجـاز. وهـذا البحـث محاولـة لإبـراز بعـض هـذا التـآلف وذلـك التوافـق، مـع الوقـوف علـى أوجـه مـن إعجـاز الفواصـل القرآنيـة وأنواعهـا، وهـل هـي مـن قبيـل السـجع المعهود عند العرب أو لا؟ وأمور أخرى تجدها في ثنايا هذا البحث..

الكلمات المفتاحية: فواصل – سجع – إعجاز – التناسب– القرآن.

An Explanation of Pauses in the Holy Qur'an

By: Mohammed Abdel-Kareem Mohammed Murad Kaseb
Associate professor of Qur'anic Sciences and Interpretation
Faculty of Osoul Al-Deen in Cairo
Azhar University
E.MAIL: mohamadkaseb72@yahoo.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

Abstract

The topic of the Qur'anic pauses is considered one of the most important topics which have occupied a great deal of scholars' writings in the field of Qur'anic sciences whether in the past or present times. Pauses do not only signify the ending of a verse but also they are closely related to its beginning, its subject matter and its conclusion. In addition, the intonation and rhythm of the verses strengthen their meanings. The Qur'anic pauses have been characterized by certain features which include all aspects of beauty and expression. Pauses and verses are in miraculous coordination and great intimacy to the extent that utterances and meanings introduce an eloquent and miraculous content. Accordingly, this research is a trial to show some aspects of that coincidence and harmony. It also tries to display some aspects of the miraculous nature of the Qur'anic pauses as well as their types and tell whether they signify a certain poetic rhyme of the Arabs or not. Other aspects are covered along this research.

Key words: pauses, verses, miraculous, poetic rhyme, Qur'anic sciences.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه رحمة وهدى للعالمين، وأودع فيه من الأسرار ما يعجز عن الإحاطة بها إلا اللطيف الخبير، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أنزل عليه القرآن، سيد بني العدنان، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد ، ، ،

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فإن الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن، والمزايا التي توافرت فيه حتى جعلت له طابعًا معجزًا في لغته وبلاغته أفاض العلماء فيها بين مقل ومكثر، ولكنهم بعد أن طال بهم المطاف، وبعد أن دميت أقدامهم وحفيت أقلامهم، لم يزيدوا على أن قدموا إلينا قُلاً من كثر، وقطرة من بحر، معترفين بانهم عجزوا عن الوفاء، وأن ما خفى عليهم فلهم يذكروه أكثر مما ظهر لهم فذكروه، وأنهم لم يزيدوا على أن قربوا لنا البعيد بضرب من التمثيل رجاء الإيضاح والتبيين، أما الاستقصاء والإحاطة بمزايا الأسلوب القرآني وخصائصه على وجه الاستيعاب فأمر استأثر به منزله الذي عنده علم الكتاب [٢].

وإن مما امتاز به القرآن الكريم عن غيره من الكلام فواصل آياته، ونعني بها الكلمة التي تكون في آخر كل آية، وبلغ من أهميتها أن عقد الكاتبون في علوم القرآن الكريم فصولاً خاصةً بها كالإمام الزركشي في البرهان الذي عقد فصلاً بعنوان: " النوع الثالث: معرفة الفواصل ورؤوس الآي"، والإمام السيوطي في الإتقان الذي عقد فصلاً بعنوان: " النوع التاسع والخمسون: في فواصل الآي"، وفي العصر الحديث كتب الأستاذ الدكتور كمال الدين المرسي بكلية التربية جامعة الإسكندرية كتابا بعنوان: "فواصل الآيات القرآنية" وكذا الأستاذ الدكتور/ السيد خضر الأستاذ بجامعة المنصورة الذي كتب كتابا بعنوان :"فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية " هذا

(١) مناهل العرفان، ٢/ ٣٠٩.

إلى جانب ما سطرته أقلام أخرى في موضوع الفاصلة القرآنية .

ذلك أن قضية الفواصل القرآنية قد طرحت أمام العرب موضوعات جديدة لم يكن لهم بها علم من قبل، ولم تخطر لهم على بال، ذلك أن الفاصلة في حد ذاتها إحكام لما قد سبقها من الكلام في الآية، بخلاف السجع الذي كانت تتكفله العرب لإظهار البلاغة والبراعة، ثم إن توالي الفواصل بما تحدثه من موسيقى ظاهرة وبما تقوم به من ربط وإحكام بين الكلام، وما تضفيه من معان مقصودة، سواء على المستوى القريب أم المستوى البعيد، بحيث لا يستطيع أحد مهما أوتى من قوة الفصاحة وحسن البيان أن يقترح تغيير لفظة أو زيادة حرف مع أن ذلك جائز في كلامهم، كل ذلك أبرز معنى الإعجاز فتجد جمال الأسلوب وقوة العبارة في كل آية من آيات القرآن تحكمها الفواصل مسببة جمال الإيقاع الذي يهز الوجدان ويدل على عظمة الخالق ﷻ[٢].

إن القرآن الكريم يعطي الفواصل أهمية كبرى، فهي التي يوقف عليها أثناء التلاوة، وبها تنتهي الآيات، ولها أهميتها الدلالية والصوتية والتكرار فيها واضح، والقرآن نزل على أساليب العرب في الكلام مع الفارق بينه وبين كلام العرب بطبيعة الحال [٣].

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة.

أما المقدمة ففي التعريف بأهمية الموضوع وأشهر من كتب فيه قديما وحديثا.

المقصد الأول: في التعريف بالفاصلة والطريق لمعرفتها.

المقصد الثاني: خصائص الفواصل القرآنية.

المقصد الثالث: هل الفواصل القرآنية سجع؟

(١) فواصل الآيات القرآنية، د/ كمال الدين المرسي، ص ٦٥.
(٢) فواصل الآيات القرآنية، د/ السيد خضر، ص ٥١.

المقصد الرابع: أنواع الفواصل القرآنية.

المقصد الخامس: من أسرار الإعجاز في الفواصل.

ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث وما توصلت إليه الدراسة.

والله من وراء القصد وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المقصد الأول

التعريف بالفاصلة والطريق لمعرفتها

المراد بالفاصلة في اللغة: تطلق الفاصلة في اللغة على ما كان حاجزًا بين شيئين، جاء في القاموس المحيط: " الفصل: الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمفصل، والحق من القول"(٢).

ويطلق العلماء لفظ الفاصلة ـ اصطلاحًا ـ على نهاية الآية في القرآن الكريم، ولكنهم مع ذلك مختلفون في تعريفها، فيرى الزركشي أنها كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر (٣)، ويوافقه السيوطي على ذلك، حيث يقول: " الفواصل أواخر الآيات"(٤)، بينما يرى القاضي أبوبكر الباقلاني أن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وفرق أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآيات، فقال: " الفاصلة: هي الكلام المنفصل عما بعده"(٥)، وهذا يعني أن كل رأس آية تنتهي بفاصلة هي خاتمة الآية، وسواء كانت الفاصلة في المقاطع أم كانت كقافية الشعر وقرينة السجع فإنه لا اختلاف بين العلماء في إطلاق الفاصلة على خواتم الآيات القرآنية.

وأما الطريق لمعرفة الفاصلة: فأحد أمرين:-

(١) إما بطريق التوقيف، كأن يرد حديث في ذلك، كالأحاديث الواردة في شأن آيات معينة، كآية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، أو آيات سورة الفاتحة، كما جاء في حديث أم سلمة وهي تنعت قراءة رسول الله – ﷺ –.(٦)

---

(١) القاموس المحيط، مادة / فصل.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٥٣.

(٣) التحبير في علم التفسير، ص ٣٠٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٥٣.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٠٢، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٣٢، وأبو داوود في سننه، كتاب الحروف والقراءات.

(٢) وإما عن طريق القياس وذلك بإلحاق غير المنصوص بالمنصوص، ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز [٢].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

(١) أنظر البرهان ١/ ١٨٧ بتصرف، ومقدمة كتاب الداني [البيان في عد آي القرآن] .

المقصد الثاني

خصائص الفواصل القرآنية

لفواصل الآي القرآنية ميزات وخصائص لا يمكن إغفالها ومنها:-

أولاً: رصانة لغتها وتمكنها في موضعها: ذلك أن فواصل الآيات القرآنية لا تقتصر الروعة فيها على إيقاعها وجمال نغماتها فحسب بل تأتي دائمًا متمكنةً في موضعها أيما تمكن.

وكان العرب بذوقهم السليم وحسهم المرهف يدركون ما ينبغي أن تكون عليه الفاصلة، فقد روى أن الرسول – ﷺ- قرأ قولته تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفَة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر" [٢]، فأكمل معاذ بن جبل الآية بقوله: "فتبارك الله أحسن الخالقين" قبل أن يسمعها من النبي – صلي الله عليه وسلم- فضحك رسول الله -ﷺ – فسأله معاذ – رضى الله عنه- مم ضحكت يا رسول الله، قال: " بها ختمت"[٣].

وروى أن الأصمعي كان يقرأ الآية: " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاًء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم"[٤]، فأخطأ وقرأ سهوًا : " والله غفورٌ رحيم" فسمعه أعرابي كان معه، فقال له : كلام من هذا؟ فقال الأصمعي: كلام الله، فقال الأعرابي: أعد، فأعاد الأصمعي ثم تنبه فقال: والله عزيزٌ حكيم، فقال الأعرابي: أصبت، فقال الأصمعي: كيف عرفت؟ قال الأعرابي: يا هذا عزيزٌ حكيم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع[٥].

فانظر إلى هذه المؤاخاة المعنوية بين صدر الآية وختامها، وهذه الوشائج القوية التي

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٢ : ١٤.

(٢) الإتقان، ٢/ ١٢٩، ونسبه إلى أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت، وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال محققه: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح، ٧/ ٧٢، ط/ مكتبة القدسي بالقاهرة، تحقيق: حسام الدين القدسي.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٤) التفسير الكبير، ١١/ ٢٢٩.

تربط بين فواتح الآيات ونهايتها بأدق الموازين وألطفها بحيث تأتي في ائتلاف واتساق يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

وكثيرًا ما تختم الآيات القرآنية بقوله: "غفورٌ رحيم، عزيزٌ حكيم، تؤمنون، تذّكرون، يعلمون ..... الخ" وكل خاتمة تأتي في موضعها محافظةً على سداد المعنى وحسن النظم والتئامه، وترتبط بصدر الكلام في سلاسة في النظم وجري على اللسان لا يتنافى ولا يتنافر(٢).

ثانيًا: تنوعها مراعاةً للغرض: ومن ذلك قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ" (٣)

فقد يتوهم متوهم أن الأنسب في الفاصلة الأولى "أفلا يبصرون" وفي الثانية "أفلا يسمعون" ولكن اعتدال القرآن في مفرداته وتراكيبه وعلو معانيه يقتضي غير ذلك، وللفواصل القرآنية شأن ليس لغيرها في تعلق الأغراض المستفادة منها ومعرفة المقاصد والأسرار الكامنة التي تحتاج إلى دقة في النظر وتدبر لمجرى الكلام، وهنا تظهر الفوائد من ارتباط الفاصلة بما قبلها وانتظامها في سلكه.

فلما كانت الموعظة في الآية الأولى سمعية لتقدم ذكر كتاب موسى عليه السلام، وذكر أخبار القرون الماضية، اقتضى السياق أن تختم هذه الموعظة السمعية بقوله: " أفلا يسمعون" سماع تدبر واستبصار، حتى يذعنوا له ويعملوا بموجبه.

ومن إحكام التعبير وسداده أنه صدر الآية بقوله: " أولم يهد لهم" دون "أولم يروا" وهذا ما يناسب الموعظة السمعية.

وأما الموعظة في الآية الثانية، فقد جاءت مرئية وبدأت بقوله: " أو لم يروا" لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز التي لا نبات فيها مما يشاهد ويرى أثره، فاقتضى ذلك التعبير بقوله: أولم يروا"(٤).

(١) مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقتها بآياتها، د/ محجوب الحسن، ص ٧٩.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٦، ٢٧.

(٣) مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقتها بآياتها، ص ٨٧.

ومثل ذلك أيضًا يقال: في مناسبة ختام الآيتين "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[٢]، فاقتضت البلاغة أن يستعمل القرآن مع الليل المظلم الذي لا ينفذ فيه البصر "أفلا تسمعون"، لمناسبة ما بين السماع والليل الذي يصلح للاستماع بينما لا يصلح للإبصار، فالسمع يدرك ما لا يدركه البصر في الليل، بينما ناسب أن يقال في الآية الثانية " أفلا تبصرون " لمناسبة ما بين الإبصار والنهار، قال تعالى: "أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[٣].

ثالثًا: جمال الفاصلة:

ونعني بجمال الفاصلة ذلك الإيقاع اللفظي لها، والطرب الحاصل منها، المرتبط بالمعنى، وتعبيرها عن المراد بحيث لا تؤدي كلمة أخرى مؤداها، والعنصر الإيقاعي لا يقتصر على الفاصلة فقط، بل هي إحدى صوره العديدة في القرآن الكريم، ذلك الإيقاع الذي يجعل آيات القرآن الكريم تنفذ إلى أفئدة الناس وعقولهم، يقول أديب العربية مصطفى صادق الرافعي: " وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقه مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن فإن لم تنته بواحدة من هذه، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع

(١) سورة القصص، الآيات: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٦.

القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي، وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة وأثرها طبيعي في كل نفس فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه وكل نفس لا تفهمه ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربًا من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ولكنه انفرد بهذا الوجه للعجز فتألقت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أعجم معه حرف آخر لكان ذلك خللاً بينها أو ضعفًا ظاهرًا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللسان وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنة في السمع كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولاً وبعضها عرضًا وذهب ما بقى منها إلى جهات متناكرة (٢).

إن المؤثرات الصوتية الإيقاعية ذات شأن كبير وأثر خطير في تصوير المعنى ونقله على وجه مؤثر، ولم تكن أسجاع الكهان ولا قوافي الشعر لتسحر العرب كل هذا السحر إلا لما فيها من إيقاع مؤثر يخالف طبيعة النثر العادي المستعمل في درج الكلام، والملاحظ عادةً أن المعنى دائمًا يعظم شأنه ويرقى إذا ما صاحبته المؤثرات الصوتية التوقيعية الخالصة(٣).

إن للقرآن الكريم مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، ويراد بنظام القرآن الكريم الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومدّاته وغنّاته وسكتاته اتساقًا عجيبًا وائتلافًا رائعًا يسترعي الأسماع ويستهوي

(١) إعجاز القرآن، للرافعي، ص ١٧٢.
(٢) فواصل الآيات القرآنية، د/ السيد خضر ص ٢٣.

النفوس بطريقه لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر منظوم أو منثور.

تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن الكريم في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً يتضاءل دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم.

ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز بحيث لو دخل شيء من كلام الناس في القرآن الكريم لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واختل نظامه في آذان سامعيه[٢].

(١) فواصل الآيات القرآنية، د/ كمال الدين المرسي ص ٨٤، نقلاً عن: محمد رجاء حنفي في مقال بعنوان: "الفواصل أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم" مجلة الوعي الإسلامي ص ٤٧، عدد: ٣٨٨، ١٩٩٨م.

المقصد الثالث

هل الفواصل القرآنية سجع؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الفواصل القرآنية سجع[٢]، وعلى رأس هؤلاء أبو هلال العسكري[٣]، وأبو يعقوب السكاكي[٤]، وابن القيم، وابن الأثير الذي يقول في المثل السائر: إن أكثر القرآن مسجوع حتى إن السورة لتأتي جميعها مسجوعة، وما منع أن يأتي القرآن كله مسجوعًا، إلا أنه سلك به مسلك الإيجاز والاختصار، والسجع لا يواتى في كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار، فترك استعماله في جميع القرآن لهذا السبب... ثم قال: وهاهنا وجه آخر هو أقوى من الأول ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزًا أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعًا[٥].

بينما يرى فريق آخر من العلماء إلى أن الفواصل القرآنية ليست سجعًا، وعلى رأس هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري الذي نفى السجع عن القرآن في غير ما موضع من كتبه، وتبعه في ذلك أبو بكر الباقلاني من الأشاعرة الذي عقد فصلاً في كتابه (إعجاز القرآن) في نفي السجع عن القرآن واستهله بقوله: ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعري في غير ما موضع من كتبه وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أن ذلك ما يبين به فضل الكلام، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة، وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام،

---

(١) السـجع هو/ تواطؤ الفاصـلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، انظر، كشـاف اصـطلاحات الفنون للتهانوي.

(٢) هو: الحسن بن عبدالله لغوي أديب شاعر مفسر من تآليفه كتاب الصناعتين في النظم والنثر، والمحاسن في تفسير القرآن، توفي ه٣٩٥، انظر معجم المؤلفين ٣/ ٢٤٠.

(٣) هو/ يوسف بن أبي بكر بن محمد، عالم في النحو والبلاغة والتصريف من آثاره: مفتاح العلوم، توفي ه٦٢٦، معجم المؤلفين ١٣/ ٢٨٢.

(٤) المثل السائر ١١٧، ١١٨.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ولمكان السجع قيل في موضع:" هارون وموسى" ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: "موسى وهاون".

ثم قال الباقلاني: وهذا الذي يزعمونه غير صحيح ولو كان القرآن سجعًا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ولجاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بان يكون حجة من نفي الشعر؟ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر، وقد روى أن النبي – ﷺ – قال للذين جاءوا وكلموه في شأن الجنين: كيف ندّي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل، أليس دمه قد يُطل؟ فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية؟ وفي بعضها: أسجعًا كسجع الكهان؟[٢] فرأى ذلك مذمومًا لم يصح أن يكون في دلالته.

والذي يقدرونه أن سجع فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعًا، لأن ما يكون به الكلام سجعًا يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعًا للمعنى.

ثم قال: ويقال لهم لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعًا لكان مذمومًا مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحًا من الكلام، وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة.

ثم قال: فلو رأوا أن ما تلي عليهم من القرآن سجعًا، لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل، فنزيد في الفصاحة على طريقة القرآن ونتجاوز حده في البراءة والحسن[٣].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، ٣/ ١٣٠٩، حديث رقم: (١٦٨١)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت. ومسند أحمد، برقم (١٨١٣٨)، ٣٠/ ٦٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/ دار الرسالة، بيروت، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبيد بن نضيلة، فمن رجال مسلم، وهو ثقة.

(٢) إعجاز القرآن ص ٥٧-٥٩ بتصرف.

ويقول في موضع آخر: ولو كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه، ولكانت الطباع تدعوا إلى المعارضة لأن السجع غير ممتنع عليهم بل هو في عادتهم، فكيف تنقض العادة بما هو في نفس العادة، وهو غير خارج عنها ولا متميز منها.

ثم مضى في حديثه عن السجع وذكر فيما ذكر اختلاف العلماء في الشعر كيف اتفق للعرب قوله أولاً، وهل كان اتفاقًا غير مقصود إليه أم تواضعوا على هذا النظم من الوجه؟ وأن الله عرفهم محاسن الكلام ودلهم على كل طريقة عجيبة ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، ووجدوا أن هذا لما تعذر عليهم مع التحدي والتقريع الشديد والحاجة الماسة إليه مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه دل على أنه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة[٢].

وختم الباقلاني كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث قال: ولابد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظّام وعباد بن سليمان وهشام الفوطي ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز، وأنه يمكن معارضته، وإنما صرفوا عنه ضربًا من الصرف، ويضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم، وأنه منتظم من فرق شتى ومن أنواع شتى ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها، ويستهين ببديع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدي إليه وكيف يعجزهم الخروج من السجع والرجوع إليه، وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبدًا طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة، فإذا ادعوا على القرآن مثل ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلام ... أه كلامه [٣].

هذا مجمل ما قاله الباقلاني في هذا الفصل الذي عقده لنفي السجع عن القرآن وهو – كما يقول المحقق – [٤]: أخف فصول الكتاب وزنًا، وأقلها قدرًا، وأحفلها بالخطأ البيّن في أصل

(١) راجع إعجاز القرآن، ص ٦١:٦٤ بتصرف.
(٢) المرجع السابق، ص٦٥.
(٣) هو أ/ السيد أحمد صقر

الفكرة وفي كيفية نصرتها والدفاع عنها والرد على مخالفها ومرد ذلك فيما يبدوا إلى أن الباقلاني قد اندفع في كلامه بدافع المناصرة لمذهب الأشاعرة الذي كان يدين به.

والذي حدا بالأشاعرة إلى نفي السجع عن القرآن، أنهم ظنوا أن النبي – ﷺ– قد ذم السجع في حديث الجنين، وقد فهم كثير من العلماء أن هذا الحديث إنما ورد في ذم السجع والتنفير منه، ولا شك أنهم واهمون في ذلك، ولو كان النبي – ﷺ – أراد إلى ذمه لقال: أسجعًا؟ فقط، وإنما أراد النبي – صلة الله عليه وسلم – كما يتضح من روايات الحديث إنكار تشادق هذا الساجع في دفعه حقًا وجب عليه وعلى عاقلته، وقعقعته بالسجع على طريقة الكهان في الجاهلية.

وقد أغرب الباقلاني في استنباطه من الحديث أن النبي – ﷺ – رأى أن السجع مذموم فلا يصح أن يكون في دلالته على نبوته، وكيف يذم النبي – ﷺ – السجع وكثير من كلامه مسجوع؟ مثل: "أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"(٢).

وقد أخطأ الباقلاني في قوله: إن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، فليس السجع كذلك على الإطلاق، وإنما هذا نوع من السجع ردئ، لا يقع إلا في كلام الضعفاء، ومنه نوع آخر يقع فيه اللفظ موقعه الرائع، وهو مع ذلك تابع للمعاني، وهذا هو النوع المحمود منه الذي جاء في المأثور الصحيح عن بلغاء الجاهلية وفصحاء الإسلام، وورد في أحاديث الرسول على أكمل وجه وأتم نسق اتفق وجوده في كلام البشر، وإليه يريغ المثبوت للسجع في القرآن القائلون بأن ما كان منه كذلك هو نهاية النهايات وأبعد الغايات في البلاغة، وقد بان بطلاوته وصفاء لفظه وتمكن معناه عن جميع ما جرى هذا المجرى من كلام الخلق.

ولو تدبر الباقلاني ما حكاه من قول المثبتين للسجع في القرآن: إنه مما يبين به فضل الكلام

(١) أخرجه بن ماجة في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١/ ٤٢٣، برقم (١٣٣٤)، وأحمد في مسنده، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، برقم (٢٣٧٨٤)، ٣٩/ ٢٠١.

وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة، كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة، لو تدبر هذا القول ولم يكن مدفوعًا إلى معارضته لمخالفته مذهب أصحابه، لرآه قولاً وجيهًا ولما وجد بين السجع وبين أنواع البديع التي ذكرها من فرق .... ولما ذهب يتمحل العلل الواهية لنفي السجع من القرآن كقوله: "لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعًا لكان مذمومًا مرذولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحًا من الكلام، وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، فلو كان ما يتلى عليهم من القرآن سجعًا لقالوا: نحن نعارضه بسجع معتدل فنذيد في الفصاحة على طريقة القرآن ونتجاوز حده في البراعة والحسن".

وفوق ما في كلامه هذا من خطأ وتهافت فإن فيه هفوة أخرى إذ حكم قواعد البلاغة في القرآن، مع أن القرآن هو الأساس الذي يجب أن تحاكم إليه قواعد البلاغة، وأن تجري على سننه ووفق أحكامه.

وكقوله: "ولابد لمن جوز السجع في القرآن وسلك ما سلكوه من أن ما يسلم ما ذهب إليه النظّام وعباد وهشام، ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز وأنه يمكن معارضته وإنما صرفوا عنه ضربًا من الصرف....." إلخ كلامه.

وهذه إلزامات عجيبة لا تلزم المثبتين للسجع في القرآن بحال من الأحوال لأنهم يرون أن السجع الرائع مظهر من مظاهر الاقتدار على البلاغة والامتلاك لزمام الفصاحة وأن السجع الكثير في القرآن قد جاء في أرفع صور البيان وباين كل أسجاع الساجعين، كما يؤمنون بأن سر إعجاز القرآن نظمه البديع وبلاغته الرائعة المجاوزة لجميع بلاغات العرب.

وأي فارق بين مشاركة القرآن كله لغيره من الكلام في كونه كلامًا عربيًا مؤلفًا من ألفاظ فصيحة بليغة وبين مشاركة بعض آية في كونها جاءت مسجوعة؟

وكيف يكون السجع المحمود أمارات الفصاحة المعدودة التي يقصد إليها أعلام البلغاء في بعض كلامهم لتوشيته وتزيينه، وتحسينه بعقد المناسبة بين ألفاظه ثم نجرد القرآن منه وننفيه عنه

بزعمنا مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة جميعًا.

ولئن قال الباقلاني: إن السجع عيب يجب نفيه عن القرآن ... فإنني أقول: إن السجع من الميزات البلاغية التي يجدر بنا أن ننزه القرآن عن خلوه منها(٢).

وهو رد قوي على كلام الباقلاني وتفنيد لما استدل به لنصرة ما ذهب إليه هو من خلو القرآن من السجع، على أن الأمر في غايته ال يعدوا أن يكون خلافًا شكليًا، وكما قيل لا مشاحة في الاصطلاح، فالقول بالسجع في القرآن تقرير للفاصلة، والقول بالفاصلة ليس إنكارًا للسجع في حقيقة الأمر، فكلمة آخر الآية تسمى رأس آية أو فاصلة، فإذا توالت الآيات على نمط واحد وقد اشتركت حروف أواخرها سميت فواصل أو سجعًا لا غضاضة في أيهما، إلا أن الفواصل أعم (٣).

ذلك أنه ليست كل فواصل القرآن مسجوعة، وليست كلها مرسلة فالفواصل منها المسجوع ومنها المرسل، وإغفال هذا الأمر كان سببًا من أسباب الاختلاف في الفواصل والأسجاع، إذ بين لفظي الفواصل والأسجاع عموم وخصوص، فالفواصل عامة لكل فاصلة، والأسجاع تخص ما جاء مسجوعًا من فواصل القرآن، ولا نستطيع أن نقول عن الآيات التي وردت فواصلها غير مسجوعة إنها من قبيل السجع، وهذا أمر معلوم غفل عنه كثير من الدارسين(٤).

مما سبق يظهر أن مستند القائلين بجواز إطلاق السجع على الفواصل القرآنية أمران(٥):

الأول: أن القرآن نزل على أساليب الفصيح من كلام العرب، والسجع نمط من أنماط النثر الفني عندهم.

الثاني: أنه لم يرد نص شرعي صريح يمنع من تسمية الفواصل بالأسجاع، فالقول بالسجع في القرآن تقرير للفاصلة، والقول بالفاصلة ليس إنكارًا للسجع في حقيقة الأمر. والتحقيق: أن فواصل الآيات القرآنية وإن جاءت على صورة السجع فإنها تخالفه في مراعاة المعنى مع اللفظ

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق/ السيد أحمد صقر، ص ٧٤: ٧٧ بتصرف.
(٢) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن، د/ فتحي عامر، ص ٢١٦.
(٣) راجع فواصل الآيات القرآنية، د/ سيد خضر، ص ٥٦.
(٤) المرجع السابق، ص ٤.

بل قبله، ولله در الزمخشري رحمه الله إذ يقول في كشافه القديم ما نقله عنه الزركشي :(إنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النحو الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المؤنقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل أو نقير)[٢].

(١) البرهان: ١/ ٧٢.

المقصد الرابع

أنــواع الفواصــل القرآنيــة

وتحته مطلبان:

الأول: أنـواع الفاصـلة مـن حيـث تعلقهـا بـالمعنى، قـال السـيوطي: قـال ابـن الأصـبع: لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء، التمكين، والتصدير، والتوشيح، والإيغال.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أولاً: التمكين

ويسـمى ائـتلاف القافيـة، وهـو أن يمهـد النـاثر للقرينـة أو الشـاعر للقافيـة تمهيـدًا تـأتي بـه القرينـة أو القافيـة متمكنـة في مكانهـا، مسـتقرة في قرارهـا مطمئنـة في موضـعها، غيـر نـافرة ولا قلقـة، متعلقًـا معناهـا بمعنـى الكـلام كلـه تعلقًـا تامًـا بحيـث لـو طرحـت لاختـل المعنـى واضـطرب الفهـم، وبحيـث لـو سـكت عنهـا، كملـه السـامع بطبعـه، ومـن أمثلـة ذلـك قولـه تعـالى: "قـالوا يـا شـعيب أصـلاتك تـأمرك أن نتـرك...."[٢] فإنـه لمـا تقـدم في الآيـة ذكـر العبـادة، وتـلاه ذكـر التصـرف في الأمـوال اقتضـى ذلـك ذكـر الحلـم والرشـد علـى الترتيـب، لأن الحلـم يناسـب العبـادات والرشـد يناسـب الأمـوال، ومـن ذلـك قولـه تعـالى: " أو لـم يهـد لهـم كـم أهلكنـا مـن قـبلهم مـن القـرون يمشـون في مسـاكنهم إن في ذلـك لآيـات أفـلا يسـمعون...."[٣]، فالموعظـة في الآيـة الأولـى سـمعية، حيـث قـال :"أولـم يهـد لهـم" ولـم يقـل: "أولـم يـروا" لأنـه تقـدم ذكـر الكتـاب وهـو مسـموع أو أخبـار القـرون وهـى ممـا يسـمع، فناسـب أن تكـون الفاصـلة "أفـلا يسـمعون"، وأمـا الموعظـة في الآيـة الثانيـة، فهـي مرئيـة، ولـذلك بـدأت الآيـة بقولـه تعـالى: "أو لـم يـروا" فناسـب أن تكـون الفاصـلة " أفـلا يبصرون" لأن سوق الماء إلى الأرض الجرز مرئي.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٧.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٦.

ثانيًا: التصدير

وهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، ويسمى أيضًا: رد العجز على الصدر، قال ابن المعتز، هو ثلاثة أقسام:

الأول: توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى: " لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا"(٢).

الثاني: أن يتوافق أول كلمة منه نحو: "وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"(٣)، وقوله: " قال إني لعملكم من القالين"(٤).

الثالث: أن يوافق بعض كلماته نحو قوله: "انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً" (٥)

ثالثًا: التوشيح.

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم الفاصلة، كقوله تعالى:" إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين"(٦)، فإن "اصطفى" لا يدل على أن الفاصلة "العالمين" لا باللفظ، لأن لفظ "العالمين" غير لفظ "اصطفى" ولكن بالمعنى، لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شيء أن يكون مختارًا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون، فالفرق بينه وبين التصدير أن كلًا منهما وإن اشترك صدره في الدلالة على عجزه فإن دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية.

ومنه أيضًا، قول الله تعالى: " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، فإذا هم مظلمون"(٧)، فإن من كان

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٦٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٦) سورة يس، الآية: ٣٧.

حافظًا لهذه السورة متفطنًا إلى أن مقاطع آياتها النون المردفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل، علم أن الفاصلة "مظلمون" لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم، أي دخل في الظلمة ولذلك سمى توشيحًا لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخرة منزلة العاتق والكشح اللذين يحول عليهما الوشاح [٢].

رابعًا: الإيغال

وهو ختم الكلام بما يفيد نكته يتم المعنى بدونها، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر، ورد بأنه وقع في القرآن من ذلك، قال تعالى: " يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون"[٣]، فقوله: "فهم مهتدون" إيغال لأنه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل، والترغيب فيه[٤]، قال الزركشي: " وسمى به لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد، يقال: أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل[٥].

وجعل بعضهم منه : "ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين"[٦]، فإن قوله:"إذا ولوا مدبرين" زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود وأنهم بعيدون عن الإيقان.

---

(١) الإتقان، ٣/ ٢٥٥.

(٢) سورة يس، الآية: ٢٠، ٢١.

(٣) فواصل الآيات القرآنية :ص ١٤٣، وراجع الإتقان: ٣/ ٢٤٩.

(٤) البرهان، ١/ ١٨٥.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨٠.

المطلب الثاني: أنواع الفاصلة من حيث الوزن

قسم علماء البديع الفواصل إلى متوازٍ ومطرف ومتوازن.

قال الإمام الزركشي: "وأشرفها المتوازي، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع، كقوله تعالى: " فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة"[٢]

والمطرف: أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن، كقوله تعالى: "ما لكم لا ترجون لله وقارًا، وقد خلقكم أطوارًا"[٣].

والمتوازن: أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط، كقوله تعالى: "ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة"[٤]"[٥].

يقول أحد الباحثين[٦]: وقد أنعمت النظر في استخدام القرآن الكريم لنظام الفواصل، وانتهيت بعد طول الروية والأناة، إلى أن أهم سمات الاستخدام القرآني للفواصل ما يأتي:

أولاً: الخروج على رتابة الإيقاع "كسر الإيقاع" والقرآن الكريم حين يلجأ إلى كسر هذه الرتابة يثري التعبير بأنغام موسيقية متنوعة تنحدر فيها موجات النغم، وتتنوع أصداؤه وتتصاعد درجاته، وقد لاحظت أنه يلجأ في ذلك إلى وسيلتين، إحداهما: المزاوجة بين القرائن في الكم الموسيقي فنجده يأتي بالفواصل المتوسطة الطول ويتبعها بالفواصل القصيرة، ثم بالطويلة، ثم يعود إلى القصيرة، أو المتوسطة وهكذا، ومن ذلك قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ

---

(١) سورة الغاشية ، الآية: ١٣-١٤.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٢-١٣.

(٣) سورة الغاشية، الآية: ١٥-١٦.

(٤) البرهان، ١/ ٧٥.

(٥) وهو د/ محمود نحلة.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا"[٢].

الثانية: التصاعد النغمي، ونعني به البدء بالفواصل القصيرة وإتباعها بفواصل أطول فأطول، ومن ذلك قوله تعالى:" إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا"[٣]، ومنه أيضًا: "وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)"[٤].

وقد يتوازن الإيقاع ويتقارب ولكن تختلف أنغامه، ولا يمكن أن تحس فيه بشيء من الرتابة، وذلك متحقق في سورة الشرح التي تتقارب فيها القرائن ويتوازن الإيقاع الموسيقي، وبخاصة في الجزء الأخير منها، ولكنك لا تجد فيها أثرًا لرتابة الإيقاع.

ثانيًا: التوازي: وهو اتفاق أواخر القرائن في الوزن والرويّ[٥]، وهو سمة واضحة في الفواصل القرآنية، وهو بما يحمل من توافق صوتي يؤدي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي المحبب، الذي تنشط له النفس.

ثالثا: التوازن، وهو الاتفاق في الوزن دون الرويّ، وإذا كان اتفاق الوزن والروي في بعض الفواصل يعطي هذا الثراء الموسيقي الذي أشرنا إليه فإن الاحتفاظ بالوزن والتخلي عن الروي في بعض الأحيان يكون له من الحسن مثل سابقه إذا حدثت المراوحة بينهما باعتياد الأذن على نهاية صوتية

(١) سورة النبأ، الآيات: ٦: ٢٦.
(٢) سورة النبأ، الآيات: ٣١: ٣٨.
(٣) سورة العصر، االآيات: ١: ٣.
(٤) الروي: هو حرف القافية، انظر القاموس المحيط [مادة روى].

واحدة، ومن هذا اللون: "أنا صببنا الماء صبًا، ثم شققنا الأرض شقًا"[٢]، وقوله: "كلا إذا دكت الأرض دكًا دكًا، وجاء ربك والملك صفًا صفًا"[٣]، وهذا اللون أقل شيوعًا من الأول.

رابعًا: التطريف: وهو ما اتفقت فيه الأعجاز في الروي دون الوزن، ومن هذا اللون قوله: "إنهم كانوا لا يرجون حسابًا، وكذبوا بآياتنا كذابًا"[٤].

خامسًا: الترسل: ونعني به عدم التقيد بوزن ولا روي في الفواصل ومنه قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا"[٥].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ومع أن الاختلاف طفيف، فإن القرآن ربما عمد إليه تحقيقًا للتنوع الموسيقي [٦].

إن التنوع في فواصل القرآن أمر لا تخطئه عين، ولا تنكره أذن، كيف لا وآياته شاهدة على هذا التنوع، الذي يضفي على القرآن الكريم إعجازًا على إعجازه، وجمالاً على جماله، وبهاءًا على بهائه، وحسنًا على حسنه، ورونقًا لا تجده في كلام بشر، مهما أوتي من بلاغة وفصاحة لسان، أو عذوبة منطق وحسن بيان.

(١) سورة عبس، الآية: ٢٥-٢٦.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢١-٢٢.
(٣) سورة النبأ، الآية: ٢٧-٢٨.
(٤) سورة النبأ، الآية: ٩: ١٢.
(٥) لغة القرآن الكريم في جزء عم، ص ٣٦٧- ٣٧٠- ٣٧٤ بتصرف.

المقصد الخامس

من أســـرار الإعجـــاز في الفواصـــل

في هذا المقصد نتحدث عن بعض أسرار الإعجاز القرآني في استخدامه للفواصل القرآنية ومن هذه الأسرار ما يلي:

أولاً: المزاوجة بين الفواصل، وذلك في مثل قوله تعالى:" فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب"(٢)، ومثل قوله سبحانه: "فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر"(٣)، وقوله: "وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا"(٤)، وهذه المزاوجة بين الفواصل مما يزيد المعنى وضوحًا، والفكرة تأكيدًا، وذلك عن طريق استخدام الألفاظ المتجانسة مما يحدث تلاؤمًا في المعنى وتناسبًا بين الفواصل.

ثانيا : تناسب الفواصل مع آيها، فتختم الآية بما يتناسب مع أولها في المعنى، وذلك مثل قول الله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"(٥)، فقد ختمت الآية بما يناسب أولها، إذ "اللطيف" يلائم " لا تدركه" الأبصار، و"الخبير" يلائم " وهو يدرك الأبصار" لأن من يدرك الشيء يكون خبيراً به .

ثالثا: التمهيد للفواصل بألفاظ تؤذن بوقوعها، وهو ما يسميه البلاغيون برد العجز على الصدر، وذلك مثل قوله تعالى: "وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب"(٦)، وقد مرّ الحديث عن ذلك .

رابعا: تكرير الفواصل في بعض سور القرآن الكريم، مثل تكرير آية "فبأي آلاء ربكما تكذبان " في سورة الرحمن، وآية "ويل يومئذ للمكذبين" في المرسلات، وقد كررت "فبأي آلاء ربكما

(١) سورة الشرح، الآية: ٧-٨.
(٢) سورة الضحى، الآية: ٩-١٠.
(٣) سورة النجم، الآية: ٤٣-٤٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨.

تكذبان" لأن الله سبحانه عدد في السورة نعماءه، وذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرها، وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها، ثم فيها إلى ذلك معنى التوبيخ والتقريع، فإن تعديد الآلاء من الرحمن تبكيت لمن أنكرها، كما يبكّت من ينكر أيادي الناس عليه بتعديد النعم له .

خامسا: رعاية الفاصلة، وذلك بحيث تتكامل من خلالها المعاني وتتجسد ونحس فيها الإعجاز، ذلك أن سمو القوالب من سمو المدلولات، وسمو المدلولات من سمو القوالب، والمعنى الشريف هو الذي يلبس اللفظ الشريف، ولو لم تراع الفاصلة لحدث خلل كبير.[٢] ولرعاية الفاصلة صور منها: [٣]

(١) **التقديم والتأخير**، كتقديم هارون على موسى، وذلك في آية سورة طه حيث يقول القرآن حكاية لمقولة السحرة: "فألقي السحرة سجدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى"[٤] ومن المعلوم أن موسى أفضل من هارون، إذ هو الذي ألقيت عليه تبعات الرسالة، وليس معنى رعاية الفاصلة خلوّها من معنى أو لطيفة معنوية أو جمالية، ولا ينبغي أن نهوّن من قيمة التآلف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي تتجلى فيه فنية البلاغة، تؤدي المعنى بأرهف لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع.

فالبلاغة من حيث هي فن القول لا تفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، ولا تعتد بمعان جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجور عليه ليسلم لها زخرف بديعي.

وهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالتها المعنوية المرهفة ونسقها الفردي في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يكره

---

(١) انظر فواصـــل الآيات القرآنية، لكمال الدين مرســـي، ص ٦٩: ٨١ بتصـــرف، وكذا: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن، د/ أحمد فتحي عامر، ص ٢١٨.

(٢) راجع هذه الصور بتصرف في مناسبة الفواصل القرآنية، ص ٩٧: ١٠٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٧٠.

الكلمات على أن تأتي في غير مواضعها[٢].

نعود إلى آية سورة طه وتقديم ذكر هارون فيها على موسى، ذلك أن الأسلوب فيها قد جرى على التثنية: " قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى"[٣]، فتقديم هارون على موسى في هذه السورة لحكمة اقتضاها المقام، وهي الترقي في المعنى بتأخير الفاضل عن المفضول، لأن موسى عليه السلام هو من ألقيت عليه تبعات الدعوة، فلما تأخر ذكره ازداد المعنى قوةً وارتقاءً بختم الكلام بمن هو أكبر شأنًا في المقام، هذا مع رعاية الفاصلة، فآيات هذه السورة جاءت فواصلها على الألف[٤]....ولو أن القرآن الكريم خالف هنا وقدم موسى على هارون لما كان سائغًا للآذان، فالقرآن الكريم مقصود فيه سلامة المعنى مع سلامة اللفظة في موضعها بما تعطيه من وقع وما تحدثه من جرس .

(٢) **الحذف**، ومن لطائف الكلام وأساليب البلاغة ما في القرآن من تعبير موجز عن معنى كبير حيث حذف المفعول به في قوله تعالى :"والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى"[٥] فصار التعبير أكثر بلاغة ودقة وطرافة، فبعد أن أقسم سبحانه بالضحى والليل وما سجى جاء الجواب خاليًا من المفعول أو كاف الخطاب "ما ودعك ربك وما قلى " دون أن يقال: قلاك، وعامة المفسرين أن ذلك لمشاكلة رؤوس الآي أي مراعاة للفاصلة، أما بنت الشاطئ فلم ترتض ذلك فتقول: ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الملحظ اللفظي فحسب لما عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها "فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث" وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق، وعلى مذهبهم كانت الفواصل ترعى بمثل لفظ "خبّر" مثلاً لمشاكلة رؤوس الآيات بالعدول إلى هذا اللفظ عن "فحدث".

---

(١) الإعجاز البياني في القرآن، د/ عائشة عبدالرحمن، ص ٢٧٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٦٣.
(٣) مناسبة الفواصل القرآنية وعلاقاتها بأياتها، ص ٩٨.
(٤)سورة الضحى، الآيات: ١ : ٣.

ثم تمضي تعرض لفكرتها قائلة: ونرى والله أعلم أن حذف الكاف من قوله: "وما قلى" مع دلالة السياق عليها تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول: وما قلاك، لما في القلي من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء[٢].

وهذا كلام معتبر، ولكنه لا ينفي ما هو واقع بالفعل من أمر مراعاة الفواصل في هذه السورة أو في غيرها وليس ذلك عيبًا في الأسلوب حتى ننزه القرآن عنه، فإن الانسجام بين رؤوس الآي أمر مقصود لا يعيب القرآن في شيء، ولو أننا تخيلنا الفاصلة "قلاك، آواك ، هداك، أغناك" لما كان لذلك الانسجام أثر، ولما أعطى ذلك الوقع الصوتي لتلك الفواصل "قلى، فآوى، فهدى، فأغنى" مع ما في هذا الإبهام من تعظيم يجعل النفس تذهب في تقديره كل مذهب ،فسبحان من هذا كلامه!!

ومثل ذلك حذف الياء من قوله تعالى: "والليل إذا يسر"[٣] وأصلها : يسري بإثبات الياء، ومن أثبت الياء في الوصل والوقف فإنه يرى أن الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف في الاسم نحو قاضٍ وغازٍ، وإنما تقول: هو يقضي وأنا أقضي.

(٣) **زيادة حرف المد**، وذلك في نحو قول الله تعالى: "وتظنون بالله الظنونا "[٤]، وقوله: " يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا"[٥] في نفس السورة، حيث زيدت الألف في "الظنونا" و"الرسولا" و"السبيلا"، والقراء مختلفون في هذه الزيادة فأثبتها في الوقف والوصل نافع وابن عامر وأبوبكر وأبوجعفر،

(١) الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص ٢٦٩.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦-٦٧.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وأثبتها في الوقف دون الوصل ابن كثير وحفص عن عاصم والكسائي وخلف، وحذفها وصلاً ووقفًا أبو عمرو ويعقوب وحمزة [٢].

فمن أثبت الألف وصلاً ووقفًا أراد الالتزام برسم المصحف، ومن أثبتها في الوقف دون الوصل أراد إجراء الوصل مجرى القوافي الشعرية في إثبات ألف الإطلاق، وأنكر القرطبي تشبيه الفواصل بالقوافي لأن الشعر موضع ضرورة بخلاف القرآن فإنه أفصح اللغات ولا ضرورة فيه[٣]، وذكر ابن الأنباري أن من قرأ "الظنون، الرسول، السبيل" لم يأت بما يخالف المصحف[٤].

لا شك أن قراءة الإثبات وما يعطيه الإطلاق في لفظ "الظنونا" يرسم في الأذهان حالة المؤمنين وحالة المنافقين وما كانوا عليه من التعب ومشاعر القلق في غزوة الأحزاب، فقد ذهب بهم الأمر إلى ظنون مختلفة وظنوا أن النبي وأصحابه يستأصلون، ولا شك أن إطلاق اللفظ "الظنونا" يعطي تصويراً لتلك الحالة النفسية التي كانت تسود المسلمين أو بعضهم آنذاك.

خلاصة القول: إن هذه الفواصل القرآنية قد صيغت جميعها في عبارات رائعة مؤتلفة أخاذة تؤكد الفكرة وتثبت تعلقها بما قبلها وتحدث معه جرسًا ذا أثر نفّاذ يوثق صلة السامعين بالمعنى، ويعطي دلالةً واضحةً على أن هذا الكلام المعجز في معناه ومبناه هو كلام الله.

(١) كتاب السبعة في القراءات، ص ٥١٩-٥٢٠. وإتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٣٧١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٣/ ١٤٥، ط/ دار الكتاب العربي، ١٩٦٧.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الخاتمـــة

وبعـد، فـإن الحـديث عـن الفواصـل القرآنيـة ميـدان رحـب لإظهـار بلاغـة القـرآن وإعجـازه وامتلاكـه ناصـية الحسـن والجمـال، ودقتـه في اتسـاق ألفاظـه ومعانيـه، ومـن ثـمّ نشـير إلـى بعض الأمور المهمة ومنها:

أولاً: مباينـة القـرآن الكـريم لغيـره مـن ألـوان الكـلام الأخـرى مـن شـعر أو نثـر، فهـو لـيس منها بل هو في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة بحيث لا يدانيه كلام .

ثانيـًا: تفـرد فواصـل القـرآن الكـريم بسـمو بيانهـا وبلوغهـا أوج البلاغـة لمـا لهـا مـن وقـع معنوي وجرس لفظي خلاب .

ثالثـًا: للفاصـلة القرآنيـة دورهـا البـارز ووظيفتهـا الكبـرى في ائـتلاف عجـز الآيـة مـع صدرها، واتساق المبنى مع المعنى.

رابعـًا: تـورع بعـض العلمـاء عـن القـول بوجـود السـجع في الفواصـل القرآنيـة، بينمـا رأى البعض الآخـر أن الفواصـل القرآنيـة مبـرأة عـن عيـوب السـجع، ولـذا قـالوا: إنـه ممـا يـزين الكلام ويحسنه فلا ينبغي أن ننزه القرآن عنه.

خامسـًا: للفاصـلة في القـرآن دور مهـم وهـدف سـامٍ ، فهـي إحـدى وسـائل التـذكر والحفـظ، وهـي تعطـي نغمـًا صـوتيًا محببـًا إلـى الـنفس، وهـي كـذلك إغنـاء للفطـرة العربيـة المجبولـة علـى حـب القـوافي والأسـجاع، إغنـاء لهـا عـن ذلـك بمـا هـو خيـر منـه وأطيـب، وأجـلّ منـه وأجـزل، ولا يعنـي هـذا الاسـتغناء عـن الشـعر أو النثـر العربـي بـل يعنـي أن تطلب المتعة البيانية في القرآن الكريم أولا...

والحمد لله أولا وآخراً ،،،،

أهم المراجع

* القرآن الكريم.

* الإعجاز البياني في القرآن، د-عائشة عبد الرحمن، ط/ دار المعارف.

* إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط/ دار المعارف

* إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للأديب مصطفى صادق الرافعي.

* البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، ط/ دار المعرفة.

*التحبير في علم التفسير، للإمام جلال الدين السيوطي، ط/ دار العلوم للنشر.

* التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي.

* الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، ط/ عالم الكتب، بيروت.

* سنن أبي داوود، نشر: المكتبة العصرية، بيروت.

* سنن ابن ماجة، ط/ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

* فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن، للدكتور: فتحي عامر.

* الفاصلة الآية القرآنية، د-جمال النجار، ط/ الأولى، ١٩٩٩.

* فواصل الآيات القرآنية، د-كمال الدين المرسي، ط/ الأولى، ١٩٩٩.

* فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، د/ السيد خضر، ط/ الأولى، ٢٠٠٠.

* القاموس المحيط للفيروزآبادي.

* كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

* لغة القرآن الكريم في جزء عم، للدكتور/ محمود نحلة .

* المستدرك على الصحيحين للحاكم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ط/ الثانية، ١٩٨٢.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت .

* معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة .

* مناسبة الآيات القرآنية وعلاقاتها بآياتها، للدكتور: محجوب الحسن، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، عدد: ١٨، سنة: ١٤١٧ .

* مناهل العرفان، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط / دار الحديث، ٢٠٠١ .

الفهـرس

م	الموضـــــــــوع	الصفحة
١	مقدمة البحث	٣٠١
٢	المقصد الأول: التعريف بالفاصلة والطريق لمعرفتها	٣٠٤
٣	المقصد الثاني: خصائص الفواصل القرآنية	٣٠٦
٤	المقصد الثالث: هل الفواصل القرآنية سجع؟	٣١١
٥	المقصد الرابع: أنواع الفواصل القرآنية.	٣١٨
٦	المقصد الخامس: من أسرار الإعجاز في الفواصل.	٣٢٤
٧	الخاتمة.	٣٢٩
٨	المراجع	٣٣٠
٩	الفهارس	٣٣٢